# الست طاهرة

قصة بقدري عبد الغفار مطاوي

نحن في عز المولد . صياح الميكروفونات والناس والعربات وحلقات الذكر يصم الاذان . القزم عتريس يدخل من باب الجامع في طريقه الى المقام . الشحاذون يبتسمون . السقاؤون الواقفون في الممر الطويل كتماثيل من الخشب ينظرون اليه بعيونهم الحزينة الجامدة ويبتسمون . عتريس يدخل المقام وينحشر وسط الزحام . وسط الاجساد والايدي المتشابكة تتلمس يداه الصغيرتان موضعا علي الشباك . يريح وجهه المكرمش العجوز عليه . تتمتم شفتاه ، يعلو صوته ، لكن اصوات الدعاء والتكبير والتلاوة اعلي منه . الزوار يلمحونه ويعجبون . كم يكون عجبهم لو عرفوا ان الست ايضا تكلمه ، تكلمه هو وحده دون غيره ؟

ـ يا ست ! نظرة يا ست !

ـ من ينادي علي ؟

ـ عتريس يا ست . القزم عتريس .

ـ انت جئت يا عتريس ؟

ـ جئت يا ست . اقبل الايادي . اركع عند رجليك . أشم رائحتك الطاهرة .

ـ الغيبة طالت يا عتريس .

ـ دخت يا ست . تهت في بلاد الله . شرقت وغربت . لا شغلة ولا مشغلة .

ـ والسيرك يا عتريس ؟

ـ قفلوه في وجهي . قالوا لي عجزت ولا بقي فيك حيل . من يوم ما وقعت يا ست .

ـ وقعت ؟

ـ من على ظهر الحصان يا ست . كنت انادي على عادتي بعزم ما في واقول : نفسك معي يا ست . قلت اعمل حركة من حركاتي المشهورة واضحك الناس . وقعت على الارض راسي تحت ورجلاي فوق . الناس ضحكت لغاية ما شبعت . لكن رجلي انكسرت . ظهري انشرخ .

ـ وبعدها يا عتريس ؟

ـ اخذوني الى المستشفى . وضعوا رجلي وظهري في الجبس . سبعين يوم وحياتك يا ست . سبعين يوم وحق مقامك الطاهر .

ـ وبعدما خرجت من المستشفى ؟

ـ سألت عليهم . قالوا لي في مولد الست . رحت لهم . يا ناس ارجع لشغلي ؟ لا يا عتريس . يهديكم يرضيكم . انت عجزت يا عتريس . طيب جربوني . عمرنا ما شفنا بهلوان على عكاز . نفسي أضحك الناس . الناس ستضحك علينا يا عتريس . يا ناس ترموني رمي الكلاب ؟ رزقك على الله يا عتريس . صرخت بعزم ما في : يا طاهرة ! سقت عليك النبي يا حبيبة .

ـ وسمعتك يا عتريس .

ـ عارف يا ست . لكن العمل ؟

ـ العمل عمل الله يا عتريس .

ـ نفسك معي يا ست . كلمة تفتح الابواب . دعوة منك تحنن القلوب . لاجل الحبيب الشفيع تشفعي لي يا حبيبة .

ـ عند من يا عتريس ؟

ـ عند اصحاب الاكشاك يا ست . العابهم كثيرة . صحيح انكسرت وما عاد في حيل . لكن اقدر اضحك الناس . احكي لهم حكاياتي . احلف لهم اني يا ما اضحكت ناس وابكيت ناس .

ـ رح يا عتريس . ربنا يفتح لك الابواب .

في اليوم التالي عاد القزم عتريس الى المقام . الشحاذون على باب الجامع رأوه وابتسموا . الزوار لمحوه يتدحرج في الممر الطويل وابتسموا ، ولولا قداسة المكان لضحكوا . السقاؤون الواقفون كتماثيل من خشب نظروا اليه بعيونهم الجامدة الجزينة . تزاحم عتريس وانحشر بين الناس . تحسس الشباك وشم العطر وراح في الجلالة وقال :

ـ يا ست !

ـ قل يا عتريس !

ـ رحت لهم يا ست . فت عليهم واحد واحد .

ـ من يا عتريس ؟

ـ كلهم يا ست . الساحر الاسود . شيطان الموت . الغول العظيم . الحاوي العجيب . حتى الاراجوز فت عليه .

ـ ومن هو الاراجوز يا عتريس !

ـ رجل صغير يعلقونه من شعره بسلك ويحركون رجليه ويديه بسلوك . طول النهار يشتم ويلعن ويسب .

ـ ابعد عنه يا عتريس .

ـ هو الذي أبعدني يا ست .

ـ والباقين ؟

ـ قلت لهم اشتغل معكم . قالوا لي راحت عليك يا عتريس . يا ناس ولو نمرة واحدة . ما عاد فيك حيل يا عتريس . يا عالم ولو تقعدوني على المسرح . الناس مصيرها تضحك . الناس في هذه الايام غيرها ايام زمان يا عتريس . طيب اقف على راسي . مرة واحدة يا عالم . تقع تموت يا عتريس . ونروح في داهية ممك .

ـ معهم حق يا عتريس .

ـ تقولين معهم حق يا ست ؟

ـ شعرك ابيض . قلبك تعب يا عتريس .

ـ القلب لا يتعب من ذكرك يا ست . طيب تصدقي بالحبيب ؟

ـ عليه افضل الصلاة والسلام .

ـ لو تسمحي لي يا ست ؟

ـ ماذا تريد يا عتريس ؟

ـ أقف على راسي مرة واحدة قدامك . أثبت لك ان عتريس هو عتريس . بهلوان زمانه ووحيد عصره وأوانه .

ـ هنا في المقام ؟ يا للعيب يا عتريس !

ـ من نفسي يا ست . مرة واحدة يا حبيبة . مرة واحدة لاجل الحبيب .

ـ عيب يا عتريس .

دمدم الصوت المنبعث من المقام . زام في أذنه كالريح . غامت الدنيا في عينيه . أمتدت يد فرفعت يده عن الشباك الطاهر في عنف. زعق صاحبها الذي بدت رأسه كأنها القبة : اسع وصل على النبي ! انتبه عتريس الى العملاق الواقف الى جانبه وخاف ان يدوسه ،

يخنقه ، يرميه من الباب . صرخ : والعمل يـا ست ؟
جاءه الصوت العميق الهادىء كأن حمامة توشوشه :
ـ اسع وصل على النبي يا عتريس .
ـ الابواب كلها انقفلت في وجهي يا ست .
ـ الا بابي يا عتريس . الا بابي .
ـ يرضيك عتريس يصبح شحاذ يا ست ؟
ـ الارزاق على الله يا عتريس .

يومها وقف القزم عتريس على باب الست . طول النهـار وقف على باب الحبيبة بنت الحبيب . يصعب على واحد ويضحك عليـه عشرين . الستات تشير اليه وتقول : شوفوا خلقة ربنا ! والاطفـال تصرخ وتقول : شوفوا الرجل المسخوط . والمشايخ يستعيذون بالله ويقولون : امش من هنا ورزقك على الله . والشحاذون يطردونـه ويقولون : ما بقي غير البهلوان يقف قدام صاحبة المقـام . عتـس صعبت عليه نفسه . غضب ودخل المقام ورفع يديه وقال :
ـ نفسك معي يا ست . نفسي ضاق يا بنت بنت الحبيب .
ـ رجعت يـا عتريس ؟
ـ الشحاذة للشحاذين يا ست . وانا طول عمري فنان .
ـ ما معنى فنان يا عتريس ؟
ـ امثل . اضحك الناس . ادهـن وجهي بودرة . اقف علـى رأسي . انظري .

واحس عتريس ان الشباب عاد اليه . وبحركة مفاجئة كان يقف وسط المقام كالبصلة . رأسه تحت ورجلاه في السماء . وبحركـة مفاجئة ايضا هاج الناس ، ورفع المشايخ وجوههم عـن المصاحف ، وهجم عليه حارس المقام ، فأمسكه من رقبته وزعق : يا نحس ! يـا ملعون ! وحق الست الطاهرة لاشدك على القسم !
في الزنزانة المعتمة ، على البرش الخشن ، نام القزم عتريس وهو يفكر فيما جرى له ، ويتذكر حياته القصيرة قصر جسمه . وبالليـل طلعت له الست الطاهرة ، وجهها مضيء كالبدر ، جبهتها صافية كاللبن الحليب ، ثوبها ابيض في ابيض كالملاك .
ـ عملتها يـا عتريس ؟
ـ امر اللـه يـا ست .
ـ وفي المقـام !
ـ معذور وحياتك .
ـ الدنيا واسعة يا عتريس .
ـ الدنيا ضاقت في وجهي يا ست . ما بقي قدامي الا بابك .
ـ وتتشقلب في المقـام يـا عتريس ؟
ـ كان نفسي ألعب مرة قدامك . مرة واحدة قبل ما أموت . قلت يمكن نفوز منها بنظرة . نظرة واحدة قبل ما أموت .
ـ كلهـم هجموا عليـك .
ـ كلهم يا ست . كل المشايخ والعساكر ، والشحاذين والسقائين، الافندية والفلاحين .
ـ ورموك في الزنزانـة .
ـ على البرش الخشن . في العتمة والرطوبة : وسط الفيـران والبراغيث .
ـ تعبـان يـا عتريس ؟
ـ كل واحد ونصيبـه يـا ست .
ـ زعلان مني يـا عتريس ؟
ـ كلك نظر يـا أم العواجز .
ـ ألا تريد ان تسامحني ؟
فتح القزم عتريس عينيـه قبل ان يغلقهما الى الابد . تنهـد بصعوبة وقال : لا يا ست . ابدا ابدا .

القـاهرة

**عبد الغفار مكاوي**


صدر حديثا

# رحماك يا دمشق !

بقلـم الدكتور سهيل ادريس

مجموعة قصص جـديدة

الثمن ٢٠٠ ق. ل.

منشورات دار الاداب



طالعوا كـل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الاديـب

الحكمـة

العرفـان

العلـوم

فهي تحمل اليكم النتاج الفكـري الرصين

والابحاث القيمة باقلام خيرة الكتاب والادبـاء